موناليزا الموصل

موناليزا الموصل (قصص)

زكية الشبيبية (كاتبة عُمانية)

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022

الآن ناشرون وموزعون

الأردن، عمّان

alaan. publish@gmail. com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

سلطنة عمان، مسقط

omani- writers@hotmail. com

هاتف: 96824346753+ / 96824346754+

المدير العام: د. باسم الزعبي

صورة الغلاف للفوتوغرافي علي الفهداوي

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع في سلطنة عمان: (2021/4056)

ISBN: 978- 99969- 862- 6- 0

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2021/12/6743)

زكية الشبيبيّة

موناليزا الموصل

قصص

الإهداء

إلى العالقين في قلبي، من عبق الماضي وحتى غمرة الحاضر، أولئك الذين ما زال بوسعهم أن يحلموا، وأولئك الذين ناموا طويلا في وطن بلا أحلام، إلى أرواحهم المستيقظة في تلافيف روحي أهدي هذه المجموعة القصصية.

حُبّ عتيق

على عتبة بيتٍ من أحد بيوت الطين القديمة كان قد رصف سقفه بجريد من سعف النخيل، انتشر الصغار متفرقين وقد أنهوا حلقة القرآن مع شيخهم الذي دأب على تلقينهم الآيات الكريمة، يرددها على مسامعهم الصغيرة حتى أزهرت بها قلوبهم، واستحالت ربيعًا ماطرًا إثر علمه الغزير الذي حظي به دون غيره، فنال به شرفا وتكريما بين أبناء عشيرته؛ ليكون قبلة ومهوى للأفئدة المتعطشة للعلم.

لطالما كان رجلا رشيدا، يقبل الناس عليه من كل مكان، يبث الطمأنينة في نفوسهم، حتى يعود البائس منهم بوجه غير الذي جاء به! إنه الشيخ جميل، يحيي نهاره بالذكر، ويشعل فتيل سراجه ليلا لسامر وعابر، يفترش الأرض مستلقيا على ظهر الدعن، يبصر النجوم بعينين ساهمتين، همٌّ واحد ذلك الذي يعكر صفوه ويلوث نبع الرضا المتدفق في قلبه، الذرية التي لم يرزق بها، لطالما انتظر بشائرها لتلوح له في الأفق كخيوط الشمس المشرقة حتى ضاق بها ذرعا، وأوشكت حبال اليأس أن تخنقه.

تأخذه الحسرات كلما ناظر رقية تلك الصبية المتجلدة، لم يكن للهمِّ أن يقتات من جمالها الآسر، لم يزل ألقا لم تودِ به مرارة الانتظار. عشرون سنة مرت على زواجه منها، لقد كانت صغيرة جدا، يذكر جيدا عندما كان يلاطفها كطفلة غريرة، تزداد جمالا كلما تقدم بها العمر، وكأنها تتجرد من

ثوب الطفولة لآخر أكثر عنفوانا وطغيانا. تتقد عيناها النجلاوان أمامه كالجمر، فارعة الطول تميس في دلال، يزدرد ريقه كلما تأمل تفاصيلها الجميلة.

تأخذه الحسرة مرة أخرى، إنه عاجز، لا يملك من أمره حيلة، يود لو يتحرر من قيوده، فيأخذها بعيدا حيث بلاد العجائب، تلك البلاد المتقدمة – بلاد الإنجليز– أولئك الذين صنعوا دواء لكل شيء، ولا حرفة يجيدها الناس من حوله سوى الغوص بحثا عن ذلك اللؤلؤ الثمين ظنا منهم أنه سيجلب السعادة! ووحدها أمنيته العذبة مخبوءة في صدفة موصدة تعجز أن تصل إليها شباك أولئك الغائصين.

نمت إلى مسمعه أحاديث عن كنز سيتم التنقيب عنه قريبا من باطن الأرض، إنه النفط، يظنون أنه سوف يحيل حياتهم سحرا، إنه يتساءل هل يستطيع النفط أن يجلب له أمنيته تلك؟ يعلم يقينا أنه يدور في حلقة مفرغة دون جدوى، حيث لا طائرة تقله إلى بغيته، وليس لطبيب أن يقيم في أرض ما زالت شوارعها متعرجة متربة غير معبدة، لا تحمل أسماء حتى ولا أرقاما، ولا ينيرها عمود كهرباء. لقد طال شروده الذي لا يقطعه سوى صوتها الناعم تذكره بموعد نومه، لتطوي ذلك الستار فتخرس تلك الأحاديث التي تنهشه من الداخل.

استيقظ صباحا وقد عزم على أمر ما، تناول من يدها كوبًا من اللبن وبضعَ تمرات، كان يرمقها، ساهم يفكر، يحبها ولا يطيق فراقها، ولكنه وجع الضمير يطبق على أنفاسه، هل يستريح ويسرحها سراحا جميلا؟

لعلها تنعم بلطائف الأمومة من بعده. أشاح بنظره بعيدا عنها، بصوت خفيض خاطبها:

- رقية امضي إلى بيت أهلك، ولملي حاجياتك.

تمسمرت في مكانها واجمة، دقات قلبها تتسارع، هل عزم على فعلها حقا؟! وهي التي كانت تحاول جاهدة ألا ترهقه بهذه الظنون، إنها لا تتخيل أن تكون مع رجل سواه، صاحت بصوت مرتفع:

- أنت نصيبي وقدري، ولا أرضى بشيء غيره.

انفعلت وصرخت كالملدوغة، لا من سمٍّ أفعى، ولكنه سمُّ الفراق القاتل، جثت على ركبتيها ترجوه أن يمحو هذه الأفكار البغيضة من رأسه، لم يكلف نفسه الردِّ عليها، يقدر جيدا وضعها السيئ، بخطوات متثاقلة مضى في سبيله بعيدا عنها، وكذلك فعلتْ.

مرت السنوات، كانت أحوال البلد فيها تتبدل وتشي بعهد جديد، بدؤوا بالتنقيب عن النفط من بطون الشواطئ، ولاحت لأهلها أمنيات فجر رغيد. إنه يوم السابع والعشرين من رمضان، إذ عيد الفطر أطل باسما مرسوما في وجوه أولئك الصبية الصغار. يجوبون السكك والدروب الضيقة لينالوا بعض ما تجود به أيادي الأهالي، لم تخلُ دار الشيخ جميل في ذلك اليوم من سابع العيد الذي خبأه لهم، لطالما كانوا أحباءه الذين يتدارسون معه القرآن، كان يحمل بيديه عذقا من التمر يناوشهم في حبور، وابتسامته العذبة تغطي سحنة وجهه الوقور.

تمسمر في مكانه فجأةً بوجوم عندما وقعت عيناه على طفلة صغيرة كان يعتني بها أحدهم! يساوره شك في أمر تلك العينين النجلاوين، والشفتين المزمومتين، يشبه ذلك الجمال الذي طرق بابه منذ سنين خلت، اندفع نحوها، أجلسها على حضنه، سألها بلهفةٍ عطشى:

- أمك رقية؟

وقبل أن تنطق الصغيرة بنعم، احتضنها بحرارة فاض بها كأس الحنين في أعماقه، داعبها بصوت ضاحك متحشرج:

- كنتُ أنا أباك، ولكنك أبيتِ أن تأتي.

دعك حبة التمر بأصابعه الحانية ليلقمها، ولسان حاله: تمرة لريح الحبيب معجونة بحُبٍّ عتيق لا تصفه المشاعر وقد آن لها أن تهدأ وتستريح.

فتاة الذهان

كعادتها، فتاة الذهان تنتفض كالملدوغة حين تُصَب عليها تلك الموجة الحارة من الأصوات كالحمم، تلتصق عيناها في فضاء السقف، تدور وتجول هناك وكأنها تحرس العالم العلوي حتى تهبط للأسفل شيئا فشيئا. تفتش عن ثغرة من الباب الموصد تُركت للريح سهوًا، تجد ضالتها المنشودة، تدفعه لتمضي مهرولة، تنفذ بجلدها بكل ما أوتيت من قوة، تجري بأنفاس متصاعدة تتوقُ إلى الحرية، إنها تهرب من تلك الأصوات التي تلاحقها ولا خلاص. لم يمض وقت طويل مذ تناولت أقراص الذهان، بيديه المنتفضتين كان قد ناولها إياها، ثلاثة أقراص صفراء اللون، كان يتأملها بعمق وهي تزدردها بريقها المبلل ليتأكد أنها استقرت في معدتها دون أن تراوغه.

بذات العين أيضا كان يتأمل تقاسيم وجهها الجميلة ولونها اللبني المليح، تأخذه الحسرة عليها فيتنهد، وعلى شبابها فيحوقل، إنه يحوقل، يلوذ بالحوقلة كلما نفِد صبره وطال ألمه، فصبره عليها أضحى تهد له الجبال، وبات يقصم ظهره، لقد سلب منه أعز ما يملك... كبرياءه وكرامته. كان يمضي فزعا يبحث عنها، يجوب سكك الحيّ ودروبه الملتوية يفتش عنها برأس خفيض وأنفاس محرجه، فتاة الذهان تصر على الهروب كلما هاجمتها الأصوات المرعبة، تفزعها، ترشقها بأسهم ملتهبة وكأنها أمام حرب ضروس معها، وحدها الحرية تلك التي كانت تبحث عنها، تباغت أباها

فتهرب، إلى أي مكان تسوقها إليه قدماها، إنها تريد الخلاص فحسب، لم تعد تأبه لكلام الناس أبدا، لقد ماتت أحاسيسها تجاههم منذ أن سيقت إلى مستشفى الأمراض النفسية لتمكث فيه أيامًا معدودة، هناك تم تشخيص حالتها بالذهان لتوصف بالبلاهة والجنون رغما عنها، كما كانت تبتلع تلك الأقراص الصفراء رغما عنها أيضا، أسيرة هي في كلتا الحالتين.

يعود أباها خالي الوفاض، يفتش هاتفه الخلوي، يرتجي خبرا سعيدا يسوقه إليه أحد الجيران بالعثور عليها، لا يود أن تنتهي به الحال إلى مركز الشرطة، كم يمقت التواصل معهم، تكبر الفضيحة أكثر كلما امتدت أيادي الحاجة إليهم، يرن هاتفه، تأتيه البشارة من أحدهم:

- لقد عثرنا عليها.
- تعال خذها من بيت فلان، الشارع الفلاني.

يلهج لسانه بالحمد، تهدأ أنفاسه اللاهثة، يطمئن، لكنه فور أن يصل إلى هناك تأكله نظراتهم الساخرة، تمتد إليه كأذرع الأخطبوط تلطمه من كل جهة بلا رحمة.

تهوي أحاديثهم عليه كالصاعقة:

- هل عجزتم أن تنتبهوا لها وتفتحوا أعينكم عليها جيدا؟

إنهم لا يتوقفون، حديثهم الساخر لا ينتهي، نقدهم وتجريحهم وشماتتهم، الأمر لا يختلف كثيرا عن تلك الأصوات الشريرة التي كانت تلاحقها، كلاهما أسير في نفس الشراك، يحتضنها فيقول لها بانكسار:

- لماذا هربتِ يا بنتي مجددا؟ ألم تتناولي أقراصك اليوم؟

لـم يكـن يبـدو عليهـا الاهتمـام، كانـت تبتسـم وتدنـدن، تلقـي بنظراتهـا في السماء، تصول وتجول هناك عاليًا وكأنها تعد النجوم، لترد ببرود:

- إنني أتبعهم فقط.

في الوقت الذي كانوا يستمرون فيه بالهراء، يرشقونه في الهـواء، في عرضـه تارة، في إهماله تارة أخرى، كانت الحياة تستمر مع فتاة الـذهان، تستيقظ كـل صـباح لتتنـاول أقراصـها طـوال اليـوم بانتظـام، فـإذا مـا اسـتعرت بهـا تلـك الأصـوات ونهشـتها سـال لعابهـا للهـروب مجـددا، للحريـة والخـلاص، لتتحسس فتحة الباب وتهرب بكل ما أوتيت من قوة إلى أي مكان، ليس مهمًا إلى أين، إلى الحرية فحسب. ينتبه العجوز المسكين فيغم عليـه لينطلـق ويبـدأ رحلة البحث عنهـا، لتقـرع طبـول اللـوم لإحيـاء ليلـة صـاخبة، يتمتمـون فيهـا: تلك المجنونة هربت من جديد، تتعجب من نظراتهم وهجومهم، إنها تعدو لتطارد تلك الأصوات الشريرة، الأمر الذي لن يفهمه أحد منهم مالم يذق من كأس بلائها، تعدو كغزال جريح، يتردد صوته المنتفض خلفها:

- عودي يا بنتي عودي.

تتجاهله مكرهة، تستمر في العدو، سيارة مسرعة كالبرق تصـدمها، لتهـوي صريعة على الشارع، لفظت أنفاسـها الأخيـرة، سـكن كـل شـيء فيهـا وانطفـأ، لقد وصلت إلى الحرية أخيرا، إلى الخلاص، توقفت المعركة، توقفـت تلـك الأصوات الشريرة، توقف كل شي، حتى أحاديـث النـاس السـاخرة عـن فتـاة الذهان توقفت في تلك اللحظة منذ ذلك اليوم ولم تعد مرة أخرى.

مشهورة العالم الأزرق

في كل عصريةٍ تنبعث من شرفة داري ألحان بحيرة البجع، معزوفتي المفضلة، إحدى روائع الموسيقي الروسي تشايكوفسكي، أرشف فنجان قهوتي الساخن وأترك جسمي الممشوق ممدًا على كرسيٍ هزاز خشبي، ليس لدي أصدقاء حقيقيون بوسعهم مشاركتي رشفات قهوتي التركية أو التلذذ بقطع الحلى الباردة التي أصنعها بنفسي، حتى زهرات النرجس التي أجمعها كل صباح في صحن فضي لامع لا تحضى بزائرٍ يتنسم عبيرها قبل أن تذبل. ربما لأني أخشى أن يتطفل أحدهم على واقعي فاخترت أصدقاء من عوالم أخرى لا يمتون لواقعي بصلة، ولا يمكنهم أن يشكلوا مصدر تهديد لحياتي، أصدقاء أنقياء لطفاء لا يمكنهم إيذاء قلبي المرهف الحساس، أو هكذا كنت أظن.

أولئك الذين أدردش معهم باستمرار دون أن يعرفوا لي اسما ولا شكلا ولا لونًا ولا تفاصيل أخرى، قد يسري بعض الحسد في قلوبكم لتسألوني بفضول حول طريقة العثور على هؤلاء الأصدقاء، لكني حتمًا سأخبركم وبكل سخاء، فقد عثرت على أصدقائي هؤلاء في عالمي الأزرق الذي يروق لي أن أسبح فيه كدولفين شقي. كل شيء في مسائي يبدو عذبا لولا بعض الهمهمات التي تتسلل من بيت حماتي لتفسد خلوتي وتلوثها كدخون محترق، نساء العائلة الثرثارات اللاتي يخيل لي دائما أنهن يتحدثن عني بسوء، فحال علاقتنا كحال الزيت والماء لا يختلطان، وكذلك أرواحنا ليس بوسعها أن تذوب لتتماهى بحب في نسيج واحد. لا نشبه بعضنا بعضا،

ولا أروق لهن في كل الأحوال، نأيت بنفسي عنهن وآثرت العزلة، فأنا لا أجيد للنميمة لغة، ولا أحسن الرقص على أعراض الناس، وتأنف روحي لوك لحومهم المسمومة. أنا في حضرتهن لست سوى صنم صامت أو قطعة أثاث مهملة، لا شيء أجيده سوى الصمت ونكز أصدقائي في العالم الأزرق، في الحقيقة أنا بينهن جسد خاوٍ وروحي تحوم هناك في الزرقة مع أصدقائي الودودين اللطفاء، صاحت سميرة بلؤم مرة:

- ضعي هذا الهاتف وتعالي لمساعدتنا في لملمة الصحون.

لم أرد عليها ولم أحرك ساكنا، شعرت بالدم يغلي في عروقها وقد امتقع وجهها كليمونة صفراء، هنأت نفسي متمتمة بصوت غير مسموع:

- ما أروع التجاهل!

نما إلى مسمعي مرة عندما ذهبت أتفقد طفلي عمر صوت سعاد وهي تقول مستهزئة:

- شروق مسكينة دابة الله على هذه الأرض.

ضحكت يومها كثيرًا ضحكت من أعماق قلبي، فالمسكينة سعاد لا تعرف أن شروق في الحقيقة ملكة على عرش عالم أزرق كبير، لها من الأصدقاء خمسة ألاف وقد بلغت الحد الأقصى في ذلك، كلهم طوع إشارة مني أو تلميح، فأنا إن ضحكت سُرّت الألوف معي، وإن سعلت انتفضوا جميعا للسؤال عن صحتي وقد استحالوا جميعهم أطباء وناصحين. لا تعرف سعاد أن السوق بأكمله نهض على قدمين وطرق باب شهرتي لتسويق منتجاتهم المتنوعة وقد سدت أمام وجوههم الطرق التقليدية الأخرى، فكنت أنا شروق تلك الروح التي تشعل فتيل سوقهم وتنعش بضاعتهم

الكاسدة، والأجر المادي كان كبيرا جدا الأمر الذي لم تفهمه كل من سعاد وسميرة، ولن تجنياه أبدا من سوق ثرثرتهن الفارغ.

إنني أذكر تماما ذلك اليوم الذي قررت فيه فتح صفحتي في هذا العالم الفيسبوكي الأزرق، كنت أفكر بلقب مميز يجذب المتابعين إلي كذرٍ منتشر، تأملت منظر الشمس وهي تغرق في حمرة الغروب، كانت تبدو كقرص خبزٍ شهي طمر نصفه في كوب من الشاي الدافئ، طرق اللقب رأسي بسرعة، قرص الشمس، راق لي جدا وفتحت باسمه صفحتي في حماس يشبه حماس هوائي ألقى بنفسه باندفاع من شباك الطائرة ليغرق في طبقات الجو العميقة، وبدأت أسبح وأسبح، أجيد صوغ الحكايا والمواضيع التي تجذب أصدقائي، أضحكهم تارة وأبكيهم تارة أخرى، أفتش عن النكات الجديدة وآخر الصور التي التقطتها عدسة مصور محترف لأذيّل تعليقًا طريفا أسفلها، كنت قرص الشمس الذي ترنو إليه الأفئدة في سماء زرقاء لا شمس دافئة فيها سواي!

كل شيء كان جميلا وهادئًا حتى أتى ذلك اليوم الذي قررت فيه الانقطاع عن أصدقائي الفيسبوكيين لمدة يومين بسبب انشغالي التام بتجهيزات حفل زفاف أختي مروة، لقد كان موعدي مع تلك الليلة المشؤومة التي قلبت حياتي من بعدها رأسا على قلب وحدث ما لم يكن في الحسبان، إنها الصفعة التي أيقظتني من سباتي وأعادت التوازن في حياتي كما لم أرها من قبل. في يوم الزفاف كنت بغاية أناقتي وجمالي، ارتديت فستانا كستنائيًّا بدون أكمام ورفعت شعري الذي صبغته للون الأشقر بأكمله للأعلى ودسستُ طوقا من الكريستال في منتصفه. مساحيق التجميل غطت

سحنة وجهي البريء حتى بدوت أكبر من عمري الحقيقي، احتضنت صغيري عمر ثم أويت إلى ركن مزهر تظهر خلفه كوشة العروس بجمالها الباذخ الذي دفعني لالتقاط صورةٍ خاصة، خبأت هاتفي في مقعد قريب ومضيت أرقص في حبور أطير مع موج الأغاني وإيقاعها المثير، ولكن عمر الشقي عمد إلى هاتفي ونكز على الصورة الأخيرة وبعثها كما هو متاح في الهواتف الذكية، وبكل سهولة وبنقرة زر بغيضة إلى عالمي الأزرق الفسيح، ذلك الذي لم يعد من بعدها أزرق، بل استحال إلى كومة من الضباب تكدست على عيني.

في قاعة الزفاف كنت أرقص بإسراف مفتونة بجسدي الممشوق في غفلة عما يثار عني هناك في العالم الأزرق، حيث يرقص أحدهم على جسدي ويركلني ويكيل لي أبشع التهم وأقذرها. انتهى الزفاف وعدت إلى بيتي يطوح بي التعب، سرى في قلبي حنين نوح الزرقة، أمسكت هاتفي وكانت المفاجأة المهولة!! تعليقات بشعة لا تنتهي، وحديث غزل معسول لذيذ، رسائل تكدست في صندوقي الوارد محذرة وأخرى مغرمة، نكزات ومشاركات لتلك الصورة التي ضلت طريقها غدرًا لم يرحمها موج العالم الأزرق، وتقاذفها كزورق ورقي بائس لا يقوى على مد وجزر، وقبل لحظة انهياري واحتباس أنفاسي كنت قد دفنت جسمي في أقرب أريكة أرجف من الخوف والذهول، صورتي انتشرت في كل مكان، بيدٍ راجفة حذفت حسابي وطمست قرص الشمس قسرًا في غمرة الغياب وكأنه لم يكن يوما في هذا العالم الأزرق، العالم الذي ظننته بريئا وشفافا نقيا ها هو ذا يكشر عن أنيابه ويبتلعني بين فكيهِ لقمة شهية سائغة.

تمالكت نفسي ونهضت بتثاقل، نظرتُ إلى المرآة مليا ثم عدت أنظر إلى الصورة مرة أخرى، لفت انتباهي أمر ما، المرأة التي تظهر في المرآة تشبه تلك التي في الصورة لكنها في الحقيقة ليست أنا، النساء في القاعة أخبرنني أني مختلفة، ولم يستطعن التعرف علي أبدًا بسبب طغيان المكياج الثقيل على هويتي، امتثلت لهذه الحقيقة وقد هدأت نفسي وأوشك ثغري أن يفترَّ عن ابتسامة ساخرة، عمدتُ إلى مناديل التنظيف المرطبة ومسحت وجهي مسحًا وفركته كمن ينتزع من قوس قزح ألوانه المتفاوتة، حتى عاد إلى وجهي الحقيقي البريء، نظرت مليا ثم قلت بدهشة:

- هذه أنا.

الصورة التي حملها زورق القدر إلى العالم الأزرق لم تكن لي، فأنا في الحقيقة لا أشبهها، تذكرت لقبي- قرص الشمس- ليس سوى شخصية افتراضية صنعتها بنفسي لا تمت للواقع بصلة، لا أحد يعرف أن قرص الشمس هي شروق نفسها، وجدت نفسي أُسقط قناعين حتى عرَّيت نفسي على حقيقتها، قناع وجهي الزائف وقناع شخصيتي المجهولة التي تدعى قرص الشمس.

عبثا كنت أبكي وانتحب على عالم من الخيال يعشش في مخيلتي وحدي، كنتُ مقتنعة لما اهتديت إليه حتى عادت إليَّ روحي السعيدة، مرَّ شهر على الحادثة كل شيء كان فيه على ما يرام، قررت البحث عن أصدقاء حقيقيين يشاركوني تفاصيل حياتي باطمئنان دون توجس وريبة. طرقات على بابي ذات عصرية مزهرة، إنها سعاد، وقد أحضرت معها صحنا من

الكنافة، دعوتها إلى شرفتي، تناوشت صحن النرجس ودسته في جيبها قالت ضاحكة:

- سوف يسر زوجي بريحته العطرة.

ثم علقت على الموسيقى قائلة:

- أعشق مقطوعة مونامور، هل جرّبتِ سماعها؟

عقدت عيني الدهشة، سعاد الثرثارة تعشق الموسيقى مثلي!! أدركت أننا متشابهتان إلى درجة كبيرة، لكن الفجوة التي حفرنا لها خندقًا ودفنا فيها مشاعرنا حرمتنا من رؤية أرواحنا الطيبة كما هي على سجيتها النقية، وأن في داخل كل إنسان منا نبتة طيبة بحاجة لأن نرويها باهتمام ونحييها بالتفاتة حتى تتكشف على حقيقتها وتزهر وتثمر، لقد أصبحت سعاد صديقتي، أما عن النميمة فقد كنت أمنعها ناصحة كلما شرعت تحكي مندفعة، لقد كانت تتقبل ذلك بروح طيبة تميلُ للتغيير الجميل، بعد مرور سنة على الحادثة قررت أن أفتح صفحة جديدة لي على الفيس بوك بدون ضوضاء أو ضجيج، أسميتها غروب تماما على نقيض اسمي الحقيقي، تفاجأتُ وأنا اتصفح عمن يسأل عني وعن سر اختفائي، لقد كان المنشور معنونًا بجملة:

- سرُّ اختفاء قرص الشمس!

تجاهلته، ولكنه تكرر مرارا، حتى وجدتُ نفسي أردُّ مرة على أحدهم بتعليق:

- ربما غرقت في لجة الغروب.

برأيكم هل أرسلت لهم خيطًا يسوقهم إليّ من جديد؟

موناليزا الموصل

تأبط آلة التصوير السوداء كمقاتل محترف، ها قد أصبح جاهزًا لخوض معركته الشرسة، يقاتل بآلته رفيقةِ مهنته ولا سلاح غيرها يتّسلح به. يحلف لهم أيمانا غليظة بأنها شريفة وبريئة كوجوه أصحابها الذين تصيدتهم مرات ومرات لتختزلهم في شريطِ ذاكرتها، إنه يرفض تلك التهم الموجهة إليه وقد جردوه من ثوب إنسانيته عنوة؛ ليحيلوهُ إلى مجرم آثم يقتات من آلام الآخرين وأوجاعهم، ويصوّرهم بدم بارد، إنهم لا يفهمون أنه ينقل الصورة فحسب، يتساءل مستنكرا، أليس ما يقوم به أمرًا باعثًا للفخر؟ لم لا ينصفونه فيتجلّى في أعينهم رسولا للإنسانية؟ أو ثائرًا يملؤه الغضب؟ وصوته وحده مخبوء في تلك الصور الوليدة من مخاض آلة تصويره المستمرة في النزيف، محاربٌ يعرف متى يفرغ رصاص صوره من فوهة عدسته ليداوي بها القلوب فيدميها ويوجعها ويشرخها كنصلٍ سكين حادة. تهيج لصوره مدامع العيون، تنثرها سكابا على صفحات الخدود فتشقها كالماء في أوردة السواقي، عبثًا يحاول جاهدًا أن يغير ذلك الانطباع السيئ الذي صنعوه وصدقوه.

لم يعد يأبه بما يقولون، مضى بعزم وقد انضم لطليعة جيش القوات الأمنية العراقية، إنه لا يختلف عن هؤلاء الجنود البواسل فهو يقاتل بإصرار وعزم من وراء عدسته بعين حانقة ينبعث منها شرار الغضب على

وطنٍ تنهشه عصابات الإرهاب، وتزعزع كيانه وأمنه وقد أحالته لبيتٍ هشٍّ متهالك كبيت العنكبوت، بدأ القصف ودوى الرصاص كوابل من المطر، أصيب الناس بالهلع، أخذت العوائل بالهرب من الأحياء السكنية، تركوا كل شي خلفهم وتأهبوا للنزوح، إلى أي مكان آخر تطؤه أقدامهم، إلى بقعة من الأرض تحفهم بأمانها لا يسكنها الخوف، تدور عينه خلف العدسة، يتأمل تقاسيم وجوههم المرتاعة، انهالت عليه بعض اللطمات ورفس بالأقدام مرة تلو الأخرى، لكنه بإصرار وعزم كان يذرع المكان بخفة كصياد يفتش عن طريدته، يبلع ريقه، تتصاعد أنفاسه، لن يهدأ حتى يجد ضالته، وقعت عيناهُ عليها أخيرًا، جذبت عدسته إليها دون الحاجة لأي قوى مغناطيسية خارقة، طفلة صغيرة منكوشة الشعر، حافية القدمين، يغطي ملابسها الطين، جثم أمامها كصنم، أرسلت له نظرة خجلى تغطيها الدموع، تسبح عيناها الخضراوان كزورق نُصب فوق الماء، ابتسمت وهي تفرك إحداهما ابتسامةً متهالكةً بلا معنى، تلك الابتسامة المتهالكة على صفيح دموعٍ حرّى تجمدت في ثقب عدسته كجثة محنطة لتلفت أنظار العالم بأسره، وتشقُّ الأرض بقدمين عاريتين وتمضي إلى قدرها. ابتسامتها المحيرة أعادت إليهم لغز الموناليزا، تلك التي صنعوا لابتسامتها الباهتة ألف معنى ومعنى، أصبحت صورة تلك الطفلة البريئة أيقونة خالدة لأطفال الحروب، نال بها المصور بغيته، وظفر بها وانتصر لمهنته، انتشرت في أرجاء البلاد شرقا وغربا، تناقلتها الصحف ووسائل الأخبار في كل مكان، تحت اسم «موناليزا الموصل» تارة،

«موناليزا العراق» تارة أخرى، كتبوا عنها الكثير وعلقت خلف السيارات وكواجهة للمحلات وشاشات التلفاز والهواتف، حفرت في كل التفاصيل الصغيرة كوسم.

في بقعة هادئة في مكان بعيد كانت تلك الطفلة نفسها تتعافى من الجروح النفسية الوخيمة التي خلفها ذلك النزوح ولم تكن لتنسى، لم تعرف حتى أمر الشهرة التي حصلت عليها جرّاء تلك الصورة التي اخترقت القلوب وهزت المشاعر، سمعت بالموناليزا الخالدة في متحف اللوفر في فرنسا، ولم تعرف بأنها ورثت اللقب ذاته عندما وصفوها بموناليزا الموصل، ولكنها صدفة وفي المخيم الذي تقيم فيه شاهدت ملصقا كبيرا يحمل صورتها على إحدى شاحنات المياه التي تقطر كشلال عيونها الفزعة، يحتار قلبها، هل يبتسم لهذه الشهرة التي حققتها؟ أم ينفطر لأن الصورة تذكرها بأقسى موقف مر في حياتها، تود لو تفرح، لكن الذكرى الأليمة جثمت على قلبها فأجّلت الفرحة إلى غير ميعاد، وقعت عيناه على صورتها بعد سنوات عندما كان ينظف آلة التصوير من زحمة الصور الفوتوغرافية، اهتزت لرؤيتها أركان قلبه، تمتم باللقب:

«موناليزا الموصل».

إنه حتى لا يعرف اسمها الحقيقي، تساءل بفضول:

- ترى كيف أصبحت اليوم بعد تلك السنوات؟

ترك ما بيده وقد عزم على البحث عنها، سيكون موضوعا مثيرا عنوانه:

- العثور على موناليزا الموصل.

نقر في مواقع التواصل كثيرًا، لم يدّخر جهدا في البحث عنها وباهتمام كبير، أرسلوا له الخيوط وجمعها واحدا تلو الآخر، حتى توصل لأحد أقربائها، حمل آلة التصوير مجددا ومضى إليها يغالبه الشوق والفضول لرؤيتها بعد انقضاء تلك المدة الطويلة. وصل أخيرا إلى منطقة (بادوش) القريبة من الموصل حيث تقيم عائلة الطفلة.

سبأ.. لقد كان اسمها سبأ، كان اللقاء حافلا ومؤثرًا، شكرها على تلك اللحظة التي ظهرت فيها أمامه كالملاك ليصور تلك الصورة الثمينة ويخلق من ورائها الدهشة، ناولها هدية، ابتسمت، أدار عدسته، التقط لها صورة أخرى لكنها كانت مختلفة هذه المرة، لقد كانت مبتسمة مطمئنة، ابتسامة حقيقية لا تحتاج إلى تفسير، انطفأ الخوف من عينيها وحلّ مكانه الأمل، نشر الصورة بسعادة كبيرة، تناقلها الناس بينهم وقد اطمأنوا أخيرًا للحال التي انتهت إليها موناليزا الموصل، حَيّاهم مودّعًا قاصدًا العودة، كان يتساءل بحزن، تُرى كم موناليزا صغيرة في هذا العالم المخيف لم يكترث بوجودها أحد، تتقرفص بجسدها الصغير ككرة من لحم، تتدحرج في ظلمة الأيام البائسة، تصطدم بأحدنا فتبتسم الابتسامة نفسها، ابتسامة باهتة بلا معنى، ثم تُوْلَد لها الحياة ذات قدر وطالع جميل إثر ضوء عدسة تصوير تتحين الفرص.. ستحظى يومها باللقب نفسه؛ «موناليزا»، ثم ستنتهي الحكاية كما تنتهي كل الحكايات!

إخفاء

ترتادُ الشارع لوحدها في ضاحيةِ النهار غير آبهةٍ بأبواق السيارات المسرعة وفضاضة راكبيها وهم يختلسون النظر إلى المارة من النساء، تشق الرصيف كعادتها خالية الوفاض بظهرٍ مائل وعباءة بالية سوداء لا تشي بملامح ذات زينة أو بريق وقد انتزعتها منها انتزاعًا كما ينتزع دهن عود من خشبه، فلا شيء يبدو مثيرًا في هذه المرأة المتلفعة بالسواد أمام المارة هنا، يغلفها ذلك الغطاء كسدٍّ منيع يصعب اختراقه أو العبث به.

تلف الشال على رأسها بإحكام شديد، يطول جبهتها فتدفنها تحت غطائه، يمتد زاحفا ليبتلع حواجبها المقوسة هي الأخرى، تلك التي تفردت بها بين أخواتها فهي الوحيدة التي لم تجرب خيطًا حريريًّا يجتز جبهتها كآلة حراثة لينتف حواشيها العلوية والسفلية ويشذبها تشذيبًا، (طبيعة من الله) الجملة التي كانت تكررها كثيرا على مسامع النساء حولها بإعجاب وهي ترفع بسبابتها إلى الأعلى، لم يُبق الشال من وجهها الذي تدسه عن الناس خفيةً سوى عينيها المنزوعتين من الكحل إلا من مكحلة الحزن التي رفدتها بها الأيام العصيبة؛ فأضافت عليها مسحة من بؤس لا تخفى على من يعرف حالها جيدًا، وقد وصفها الكثير ممن حولها بالمرأة المناضلة والمستميتة في معارك الحياة، يتفصد جبينها عرقًا إثر لهيب الشمس الحارقة، وقد أحال وجهها إلى خرائط متشعبة من البقع المنتشرة على سطحه، تتقرفص في

مشيتها، تهمس في حديثها بنبرة عجوزٍ أكل عليها الدهر وشرب وهي تُشير بيدها إلى السيارات المارة، تقبل ناحيتها أخيرًا سيارة أجرة، تقفُ على الرصيفِ الذي زُرعت فيهِ كشجرةٍ يابسة، يسألها بصوتٍ مرتفع:

- ما هي وجهتك يا خالة؟

تجيبهُ بصوت هرم:

- خذني إلى المركز الصحي يا بني، تتصنع البؤس وهي تتهيأ للشكوى لتكون في مأمن:
- أولادي الكبار مشغولون في حياتهم لا أحد منهم يهتم بي.
- اركبي يا خالة، توكلنا على الله.

استقرت على المقعد الخلفي مطمئنة، أكثر سائقي الأجرة في هذه المنطقة يعرفونها جيدًا، بشكلها المريب والمثير للدهشة، وصوتها المتقطع الراجف الذي تتميز به عندما تتحدث، لا تتوقف عن الشكوى والتذمر، فما تقوله لمرهون سائق الأجرة كان يختلف عما تخبره لسعيد، تختلق الروايات الكاذبة من مركبة إلى أخرى بحسب الوحي الذي يهبط عليها حينها فيملي عليها ما تقول. اقترحت عليها جارتها مريم عندما حان موعد زيارتها الشهرية لسوق مطرح الشعبي أن تركب في الحافلة التي تُقل الشباب العسكريين إلى مكان عملهم، قالت لها مشفقة:

- سيوصلونك إلى بغيتك سريعًا دون أن تتعبي نفسك بالنزول من بقعة إلى بقعة.

بمظهرها الباهت دلفت إلى حافلتهم ذاتَ نهار وقد أذنوا لها، تُقدِّم رجلًا وتؤخر أخرى وهي تخترق صفوف المقاعد لتتوارى بعيدًا عنهم هناك في المقعد الخلفي، توسمت في قلوبهم الطيبة، ولكنها حسمت الأمر بشأن نظراتهم المتطفلة فهم ليسوا سوى لصوص كغيرهم. هرمةٌ تلك المرأة التي تشق صفوف السيرِ أمامهم وقد انتزعت الأنوثة من عودها الفتي الذي ما يزال أخضر عندما طحنتها الظروف الصعبة، لتلج مسرح الحياة وتتقمص دور المسنة وتتسربل بسرباله وهي الفتية التي ما تزالُ في العقد الثالث من العمر!

أرغمها والداها على ترك الدراسة في عمر الثالثة عشرة لتزفّ إلى ابن عمها رغمًا عنها، كان وغدًا يعاقر الخمر ولا ينفكُّ عن شربها، الأمر الذي أحال حياتها شقاءً وبؤسًا، أدركتها عناية الله عندما توفي بحادثة وهو في حالة سُكر، أنهت عدّتها وقد تحررت من شرنقتها كفراشة أتمّت عامها العشرين، تهفو لمواصلة تعليمها، زُوِّجت للمرة الثانية رغمًا عنها من مسن، بقيت على ذمته ست سنوات لم تنجب منه ولدًا فسرحها سراحا جميلا، يراودها حلم الدراسة بعد كل هدنة تنصفها بها الأيام، ولكنها كالمحارب لا يستريح أبدًا، كانت قاصمة الظهر عندما فقدت أبويها مرة واحدة لتغالب اليتم وتعيل إخوتها الصغار، لم يعد لها سندٌ في الحياة من بعدهم سوى نفسها التي تتكئ عليها بصلابة وتجلد، وصلت إلى سوقِ مطرح أخيرًا بممراته الضيقة والمتعرجة والمسقوفة بالخشب، وزحمة دكاكينه المصفوفة والمكتنزة بالضجيج والصخب، تلك التي حجبت بأروقتها وسككها

المتنامية المتشعبة أشعة الشمس فسمي سوقَ الظلام، تفوح منها روائح البخور واللبان والقهوة والحلوى العمانية، كلٌّ يدلي بدلوه ويبسط بضاعته، يعرفها الباعة الآسيويون جيدًا، يجهزون لها البضاعة التي تتكبدُ عناء الوصول إليها بمشقة للتجارةِ والترزق من الجلابيات المطرزة والأقطان والسراويل القطنية والبخور والعطور وغيرها. تشتريها بكميات كبيرة بسعر الجملة، وقد صنعت لنفسها اسمًا في سوق مشاريع الأسر المنتجة، تتلهف النساء لموعد عرض بضاعتها المتجددة والمتنوعة، تستقل سيارة أجرة من جديد، لتحط في ذات الرصيف الذي بدأت منه رحلتها، يتعاطفُ معها البعض فيعرضوا عليها توصيلة مباشرة إلى بيتها، لكنها ترفض بشدة ولا تفصح عن موقع بيتها أبدًا، تستمر في انحنائها وهي توشك على الهبوط، تودع السائق بصوت مبحوح هرم وهي تدعو له ملوحة:

- جزاك الله خيرا يا بني.

ثم تلتفتُ يمنة ويسرة، تتأكد من خلو المكان ثم تمد ساقيها بعنفوان وظهرٍ مستقيم وقد حان الوقت لانتزاع ملابس الإخفاء. تمددت على الأريكة مسترخيةً وهي تمرر على وجهها المتعب مكعبات الصبار المثلجة، يراودها حلم يفيض على روحها سكينةً كما يفيض الطل والندى على زهرٍ يتنفس الصباح بأيام جميلة تزفُّ فيها كعروس تتوقد أنوثةً وتقتلع جذور شجرتها اليابسة التي عرفها الرصيف ومن عرج عليه حيث لا شقاء ولا عناء ولا حاجة إلى إخفاء!

حالة جديدة

تنهدت تنهيدة طويلة خافتةً من الأعماق كمن يستل سيفًا من غمده وهي تهم بشرحِ مشكلتها للطبيب الماثل أمامها، مفاجئ أمرُ هذا الموعد الذي ساقها حيث هذا المكان، لم يكن في الحسبان ولم تتوقعه يومًا!!

ولجت إلى غرفته تنتعلُ الحزن كغريق يبحث عن قشةٍ ليتعلق بها وتنتشلهُ من مدِّ الأمواج الجارفة وقد ابتلعت روحها وهي لاتزال حيةً رطبة. لطالما عرجت على غرفته إبانَ زياراتها السابقة للمركز الصحي، بزهدٍ كبير كانت تقرأ اللوحة التي تشيرُ إليهِ مرارًا كلما دلفت لجناح العيادة الجلدية التي تقع على مقربةٍ منها، وها هي اليوم تقصد الغرفة ذاتها بعين عمياء لا تبصر غيرها من الغرف، فكل الغرف في كفة وهذه الغرفة لوحدها في كفة أخرى، بادئ الأمر نظر إليها باهتمام كما يفعل في كل مرة أمام حالةٍ جديدة تقبل عليه، وجه ممتقعٍ ذابل لم يألفه من قبل، وقد حفظ الحالات التي مرت عليهِ جيدًا من ذاتِ الطريق، أخذ ينقر على جهازه يدون بيانات الحالة الجديدة، سألها دون أن يلتفت إليها وهو يستمرُّ في عملية النقر على لوحة المفاتيح:

- كم عمرك يا عبير؟

ثلاثون سنة يا دكتور، تمتت بصوت منخفض يشوبه القلق وهي تفكر في ما سيعقب هذا السؤال ويليه، لم تعتد أن تشق صدرها لغريب وتبوحُ له

بما يعتلجُ روحها من هموم وآلام.

لم تكن تؤمن بضرورة وجود الأطباء النفسيين من قبل، تظن أنهم عبءٌ على هذه الحياة، لم يزيدوا الناس الذين خضعوا لرحمتهم سوى رهق ومشقة، لقد كانت جاهلة حتى تلبسها البلاء من ذاتِ الجنس ونوعه، هشةٌ تلك النفس الإنسانية، ليست سوى غلالة رقيقة تلفنا وتحيطُ بنا، تذوب بسهولة إذا مسها طائف من الحزن ليستحوذ عليها ويهدد أمانها وسكينتها، وينتزع الحياة منها انتزاعًا فتؤول خاوية كعملةٍ مفلسة لا قيمة لها، كانت تقول جازمةً:

- إن المؤمن الواثق بربه لا يمرض نفسيًّا على الإطلاق.

لم تكن وحدها تشيرُ بأصابع الاتهام إلى أولئك المرضى النفسيين وتكيلُ لهم الظنون السيئة ببعدهم عن الله وانحرافهم عن الطريق القويم، بل هذا ما فعله المجتمع برمته حين اتخذ ركنًا قصيًّا من مكانٍ ذا علوٍ شاهق وارتدى ثياب القاضي والجلاد، ونطق بكلمة الحكم المجحفة بحق هؤلاء البؤساء بدمٍ بارد وأقدام مغمورة في مياه باردة لم تكتوِ بنيران آلامهم.

سألها:

- هل تجيدين قيادة السيارة يا عبير؟

أجابت بثقة: «نعم».

تابع قائلا:

- هل قمتِ بتجديد إطارات سيارتك قريبًا؟

تعجبت من السؤال، ولكنها أجابت غير متأكدة:

- يجددها أخي، لا أعلم ربما مرة بالسنة أو أكثر.

ابتسم وقد عثر على خيطٍ يوصله إلى بغيته، عدَّل جلسته ليستفيضَ في شرحه قائلًا:

- وكذلك النفسُ يا عبير، إنها تمامًا مثل إطار السيارة تتحمل الصدمات وبؤس الأيام وطحنها حتى توشك على الانفجار في أي لحظة، وما تمرّين بهِ الآن ليس سوى حالة انفجار.

تُصدق ما يقول تمامًا، تذكرت جيدًا عندما أفاقت مذعورة ذاتَ ليلة بنوبة هلع اجتاحتها وشعور بضيق في التنفس والاختناق، خرجت إلى فضاء البيت الخارجي تفتش عن هواء طلق يريحها، تكرر الأمر معها مرتين، ثم تطور الأمر لأفكار مخيفة كانت تطوّقها وتكبّلها بأغلالٍ سامة، تساءلت عبير:

- كيف للأفكار أن تملك كل هذه القوة التي أحالتها هشة متعبة، كانت تهرب من الأفكار، تمسك برأسها وتهزه هزًّا عنيفًا، تتخيلُ لو أن بإمكانها أن تفصل هذا الرأس المشحون من جسدها كما يفعل المحارب حين ينزع خوذته الحديدية بعد حربٍ شاقة، يلفها ليل طويل موغلٌ في الأرق. شحب وجهها كثيرًا وسدت شهيتها عن الطعام، وانكفأت عن الكلام، وآثرت لغة الصمت وحدها. اعتزلت الحياة وصخبها وضجيجها، يطولُ نومها في النهار، ترفض عبير الاستيقاظ من النوم، تبدو بجثتها الهامدة على السرير كخشبة

مسندة، لقد كانت تتهيأ للموت ببطء. سألها بينما كان متكئًا على كرسيه يطرق بقلمه على سطح مكتبه مخلفا صوتا رتيبا :

- هل فكرتِ بالانتحار أو خططتِ للموت بأي طريقة؟

أجابته منكسرة:

- في الحقيقة لم أفعل، ولكني اشتهي الموت حقًّا وأتمناه.

ردَّ عليها وهو يتذكر محاولًا طمأنتها:

- قصدتني حالة مريضة خططت للانتحار عن طريق حبل غسيل علقت طرفهُ في مقبض النافذة، وأخرى فتحت باب السيارة أثناء سيرها عمدًا لترمي بنفسها في الشارع، هل تعرفين ماذا يعني هذا يا عبير؟

هزت رأسها بالنفي: «لا».

- أنتِ أفضلُ حالًا يا عبير، والاكتئاب الذي تشكين منه من الدرجة المتوسطة نستطيع السيطرة عليه.

لقد سمعت عن الاكتئاب من قبل، تظن بأنه مجرد سوء مزاج، ولكنه أكبر من ذلك وأقسى مرارة، كائن طفيلي يتسلق القلوب ليسرق سعادتها وبهجتها وأمانها، سرطانٌ ينخر الروح من نوع آخر، شبحُ ليلٍ متخفٍّ يخطف الناس خلسةً ويودعهم في زنازين مظلمة وهم في الحقيقة أحياء بين أهلهم.

- وهل يحدثُ الاكتئاب هكذا بدون سبب؟

سألته، ثم واصلت حديثها ناقمةً مستنكرة:

- لقد كنت بخير يا دكتور، فماذا جرى لي؟

نظر إليها نظرة فاحصة وعاد يسألها:

- هل أنت متأكدة أنه لا يوجد أمر ما يضايقك ويحزنك؟

تساءل مجددا وهو يشير إلى قلبها بقلمه النحاسي:

- هل نظفتِ قلبك جيدًا من سلة المهملات التي تغمره؟

فتشت في نفسها جيدًا، تساءلت: «كل شيء كان على ما يرام، لطالما أصيبت بالخيبة وقارعت الألم حتى بللت مخدتها ليلًا بالدموع وابتلعته في جوفها كحبةِ مسكن لا تنفك عن تناوله، وكان الأجدر بها أن تلفظه بعيدًا، لم تكن تجيد لغة البوح، تستمر في تكديس آلامها وتسقيها بدموع الخيبة وتصنع منها عجينًا اسمنتيًّا يحيط بروحها حتى مسها الأذى، فانتفضت روحها البائسة فجأة في محاولة منها لتفتيت هذا العجين بكل ذراته وجزئياته الصغيرة حتى تتحرر وتتجدد وتعود مشرقة كالشمس».

قطع تفكيرها:

- يعيدنا الاكتئاب إلى نقطة البداية، يهذب أفكارنا ونظرتنا للحياة من جديد، هل تعرفين ما الأمر الذي اتفق عليه أولئك الذين أصيبوا بالاكتئاب ونفذوا منه؟

- ما هو يا دكتور؟

- لقد أصبحوا يحبون أنفسهم أكثر، وكذلك نظرتهم للحياة تبدلت كثيرًا.

انتهت الزيارة، خرجت عبير بلهفة تحمل في يديها الملصق الذي ستمضي به إلى الصيدلية لتحوز به العلاج السحري، ليست متأكدة هل سيستطيع أن يعيد السعادة إلى قلبها وينهي عذابها، ولكنها توسمت فيه خيرًا، تناولت شريط الأقراص الملونة، خبأته في حقيبتها وانطلقت تنتظر المساء بشوق كبير كي يتسنى لها ابتلاع أول قرص منه بعد وجبة العشاء. أربعة أشهر مرت وروح عبير كانت تتبدل للأفضل، كزرع أخرج شطأه بعد جدبٍ طويل، لم تنس الإتيان بوصيته حول اهتمامها بالرياضة والغذاء الصحي، بدت ضجرة من الرسائل التي كانت ترد على هاتفها مختومة بتوقيع عيادة الطب النفسي، رمت الهاتف بعيدًا، شبكت بأصابع يديها محدثة صوت طقطقةٍ عمت أرجاء المكان، تمتمت بعزم وهي تفكر في ما ستقدم عليه: «يجب أن ينتهي هذا الأمر كله».

ذهبت على الفور إلى عيادته، استأذنت بالدخول، ابتسم لرؤيتها بمنظرٍ بهي، فقد لوَّنت مساحيق التجميل وجهها ليبدو مضيئًا وقد استفاق نافضًا عنه ظلال العتمة، بدأت حديثها راجية:

- لدي طلب واحد جئت له خصيصا، أتمنى ألا تمانع.
- بكل سرور ما هو؟

أشارت إلى شاشة الحاسوب الذي يلازمه كظلّه قائلة:

- أريدك أن تمسح ملفي الطبي من جهازك.

صمتت ثم تابعت وهي تحرك يديها مبررة:

- صفحة سوداء أريد أن أمسحها من حياتي إلى الأبد.

عقدت وجهه الدهشة، فلم يجرؤ أحد من قبل أن يطلب مثل هذا الطلب، ولكن عبير فعلتها، قال لها مجاريًا:

- حسنًا سيختفي ملفك إذا انقطعت عن زيارتي لمدة ثلاثة شهور القادمة.

لكنها ردت بثقة:

- أعدك، لا مزيد من الزيارات بعد الآن.

شكرته بامتنان جم، همت بالخروج، فتحت الباب بقوة، ثمة فتاة أخرى تنتظر خلف الباب الذي كان موصَدا، نظرت إليها عبير مشفقة، شعرت بأنها تشبهها كثيرا، مضت عنها بعيدًا حتى ابتلعها الطريق بينما ولجت تلك الأخرى إلى غرفته، سحبت الكرسي تتهيأ للحديث، كان ينظر إليها باهتمام كما كان يفعل في كل مرة مع وجهٍ ممتقع ذابل لم يألفه من قبل، حالة جديدة وقد حفظ جيدا تلك الحالات التي مرت عليه من ذات الطريق.

طارقٌ من الماضي

ما زالت الخالة زوينة متشبثةً ببيتها الإسمنتي القديم ببساطةِ هندسته المعمارية المستطيلة دونما ارتفاع شاهق وبطابق أرضيٍ واحد يتسع للجميع، لم تطلهُ أيدي الازدهار العمراني الذي تبدلت عليه أحوال الحارات؛ وقد ألبست البيوت أثوابًا وحللًا قشيبة تواكب التطور والتمدن العمراني الذي انتشر في البلاد وبسط نفوذه عليها مدَّ البصر، حاول أبناؤها جاهدين أن يعدلوها عن رأيها، ولكنها أبت بشموخ، تحينُ منها التفاتة إلى صورة زوجها الراحل المؤطرة بإطار خشبي وقد عُلّقت على جدارٍ متهالكٍ تشققت وتصدعت حوافه، قالت بحزن:

- رحل بجسده، ولكن روحه تطوفُ كل أرجاء البيت، هل أتركها وأرحل؟

عجوزٌ مسنة، ولكنها تستحيلُ إلى لبؤة شرسة إذا فكَّر أحدهم في أن يرغمها في حديثه على هجر البيتِ وتركه. تتفحصُ كل زاوية من زواياه بعناية، تتلمسُ الروازن في مجلس الضيوف المفتوح، وقد بسطت عليها حاجياتها وشيئًا من القطع الأثرية القديمة. تجلس على حافة البئر الذي لا يزال مزروعًا في قلب البيت ضاربًا بعمق جذوره الأرض ولا شيء سوى الذكرى تلك التي يهيلها عليها، فقد جف ماؤه وانتهت خدمته إثر توصيل الحكومة المياه للبيوت عبر الأنابيب. تعيد تثبيت الجحلة الفخارية المعلقة على مقربة منه، ما زالت تفرغ فيها الماء كل صباح، تقرأ عليه سورة الفاتحة سبعًا، وتنفثُ من ريقها بعد كل

مرة تلتمس فيه البركة، تكرر على مسامع أبنائها باستمرار وهي تشير إليها:

- الماء من جرة الفخار دواء وشفاء.

يفتر ثغرها عن ابتسامة حلوة تشق تجاعيد وجهها المضيء:

- ستكونُ هديتي لكم عندما تنتقلون للسكن في بيوتكم الجديدة.

لم تدخر جهدًا في حثهم على المضي قدمًا لتعميرِ بيوت جديدة في أراضيهم القريبة من الحارة؛ شريطة أن تبقى في بيتها القديم كصخرة عنيدة لا يزحزحها من مكانها أحد.

كثيرًا ما يعلقُ أبناؤها في مشاجراتٍ يتراشقون الحديث بينهم بحدة حول ضرورة هدم البيت وإعادة ترميمه، تصل إلى مسامعها، تجلدها تلك الكلمات بسياطٍ ملتهبة تشعل فؤادها، تهرب من أحاديثهم، تتصنع الانشغال وتنسحبُ بهدوء، تتحدر منها دمعات القهر وقد شَقَّ الدهر في وَجْهِهَا أخاديد بِسِنِيِّ عُمُرِها الطويل.

تتمتم:

- لم يبق من العمر كما مضى، ليتهم يتريثون قليلًا.

تتنبهُ للوقت وقد حانَت صلاة الضحى، صلاة الأوابين كما كانت تسميها، تفرش سجادتها لتصلي ركعتين ثم تتلو وردها من القرآن وهي التي نشأت في كتاتيب تحفيظ القرآن وتعليمه. على مقربة من مصلاها ثبتت مسندًا خشبيًّا يحتضن مصحفها الكبير الذي اقتنته مؤخرًا كيلا يرهق عينيها الذابلتين وقد ابتليت مؤخرًا بالنزول الأسود، تخبئ قطرةَ العين في جيب دشداشتها القطنية تقطرها بين الفينة والأخرى، تطوي سجادتها، ثم تتجهُ إلى الفناء الخارجي، تفرش حصيرًا قمحيًّا نسج من الخوص تحت ظل (الشريشة) الضاربة بعنفوان

على مقربةٍ من عتبة الدار، تحضر فوالة الضحى، صينية معدنية تضع فيها صحنًا من التمر وإبريقًا بلاستيكيًّا للبنٍ طازج تصنعه بنفسها من حليب بقرتها، وتصنع منه أيضًا (الكامي) الذي تحضره على نار هادئة تزيل رغوته بين الفينة والأخرى ثم تتركه ليبرد وترش عليه السمن، يحبه أبناؤها وأحفادها بشدة، إذ لا يحلو لهم تناول التمر بدونه. تجهز آنية معدنية تفيض بالماء لغسل الأيدي تضع فيها ثلاثة فناجين للقهوة، تفوح قهوتها برائحة الهال والزعفران وقليلا من ماء الورد الجبلي، يطربُ لرشفها الجميع، تتفنن في إعدادها، تمضغ حبة التمر في فمها وترشف فنجان قهوتها وهي تتأمل البيوت المرتفعة أمامها وعن يمينها وشمالها، وقد كانت من قبل بيوتًا بسيطة من الطين مصفوفة بجانب بعضها بعضا، لا تكلُّفَ في بنائها ولا غلو، تتنهد عن كبد حرى:

- كبرت البيوت وتغيرت النفوس.

تأخذها الحسرة للماضي، تبكيهِ بشوقٍ كبير، تتذكر جاراتها عليا وسليمة ونصرا وعائشة، يشرن إليها من بعيد كلما نبتت إحداهن على عتبة دارها كزهرة دوار شمس تحنُّ لدفء اللقاء، يمسحن الفناء الخارجي بمكنسة الخوص، فتلتقي عيونهن بحب، وتهوي أفئدتهن لقبلة الضحى ليتركن ما بأيديهن ويمضين بلهفة حيث بسطة (الفوالة) التي تفوح بروائح الشاي والقهوة، كان وقتًا مقدسًا لديهن ذا هيبة. يقبلن نحوها، تحمل عليا أكياس الكميم التي تخيطها بمهارة، تصغي لحكايتهن ونميمتهن مطلقة ضحكاتها المدوية وعينها لا تفارق الكمة التي تمر بين أصابعها، تصر عائشة أن يتذوقن قهوتها التي تتحدى بها قهوة زوينة كل يوم في محاولة بائسة منها، تتفنن سليمة في صنع الخبيصة وقد جرت مثلا:

خبيصة طيبة كخبيصة سليمة. تتأمل الأبواب الكبيرة الشاهقة وقد أصبحت موصدة، قل السؤال وضاع الوصال، دائما ما كانت تكرر هذا الحديث أمام ابنها الأصغر حميد الذي انتهى للتو من دراسته الجامعية في كلية الآداب، يربت على كتفها مواسيًا وهو يتغنى بأبيات من الشعر يحفظها:

«يا طارق الباب رفقًا حين تطرقهُ
فإنه لم يعد في الدار أصحابُ
تفرقوا في دروبِ الأرض وانتشروا
كأنه لم يكن أنسٌ وأحبابُ
ارحم يديك فما في الدار من أحد
لا ترج ردًّا فأهل الودِّ قد راحوا
ولترحم الدار لا توقظ مواجعها
للدور روحٌ كما للناس أرواحُ»

لا تفهم كثيرًا من معانيها ولكنها تعجبها، تشنف أذنها جيدًا لسماعها، تسري في روحها تغسلها من أدران العتاب التي طفحت على سطحها وخلفت شوائب وقد كان قلبها طيبًا من قبل لا تشوبه شائبة، ولكن جفوة الأصحاب وهجرهم آلمتها بشدة. سليمة لم تعد تقوى على المشي بسبب آلام في ركبتها، وأكثر وقتها في زيارة مع ابنتها التي تعتني بها وتسكن في محافظة بعيدة، نصرا وعائشة انطفأ صوتهن مع تقدم الأيام بعد أن أثرن به غبار الحكايا، وتركن الحارة لتسكنا بمقربة من بيوت أبنائهن في حارات أخرى، أما عليا فقد أصبح

ابنها مسؤولا كبيرا في الدولة وانتقلت للعيش معه في العاصمة مسقط في قصر مشيد كبير.

تحنُّ إلى تجمعهن من جديد، تكبر أشواقها ناحيتهن يومًا بعد يوم، تحينت الفرصة عندما قفلت عائدة مع ابنها وقد انتهت من موعدها في مركز العيون في مسقط، ترجته بشدة أن يغير مساره ويأخذها إلى بيت عليا لتزورها، ضرب كفًّا بكف وهو يجيبها هازئًا:

- هؤلاء ذو سلطة ونفوذ يا أمي يصعب الاقتراب منهم ولا يسمحون بزيارة أحد من العامة، قصورهم محصنة ومدججة بحراس وكلاب بوليسية، سيهجم عليك أحدها.

قالها وهو يضحك غير آبه بحجم الشوق الذي يطفح في قلبها. صمتت وهي تنظرُ من زجاج النافذة إلى السماء البعيدة، تمتمت:

- سامحيني يا عليا.. ربما لن يجمعني لقاء بك إلا في جنته الخالدة.

في الجانب الآخر، كانت عليا تجلس على كرسيها المخملي الفاخر متململة، طلبت من العاملة أن تناولها صندوق الفضة الذي أخذته معها من بيتها القديم، فتحته لتخرج عدّة الخياطة وبعض الكميم القديمة التي عفا عليها الزمن، ولم تنتهِ من شغلها بإكراهٍ من ابنها، قرّبتها من أنفها تشتم منها عطر الماضي النفاذ، كانت تشمها بعمق، وقد طارت بها تلك الرائحة بعيدا إلى حصير الخوص القمحي، حيث اللقاء الذي كان يجمعها بجاراتها منذ سنين تحت ظل الشريشة الضاربة بعمق جذورها في تلك البقعة المباركة من الماضي، تلك التي لم يكررها الزمن مرة أخرى.

أقدم سجين

سبع وعشرون سنةً مرت عليه وهو حبيس زنزانة خرساء لا تندفُ قطرة عذبة قد تحيي أنفاسه المتعبة، تتوقُ نفسه للحرية، يتطلع إليها بحرقة وقد نفد صبره، يتوسدُ فراش هذا الحلم في عزلته، يهفو لنور الفجر الندي الملون بالشفق الممتزج بنسيم الحرية.

لا شيء سوى الندم يطبق على ضلوعه، زاده الذي يلوكهُ ويقتات منه فلا يغنيه ولا يسمنه من جوع! يطوف عليه طائف من الماضي ليذكره بالحادثة المشؤومة جيدًا كما لو أنها كانت بالأمس القريب، ينتشله من بقعته النتنة المظلمة إلى مزرعته الغنّاء ذاتَ الزرعِ والماء والخضرة، ومجلسه الوثير الذي لا يكاد يخلو من زائر وقاصد وعابر، كانَ وجيهًا في قبيلته، أصيل المحتد كريمًا ذا مروءةٍ ونخوة، يفزعُ له الضعفاء بشكواهم ومطالبهم فلا يرد أحدًا منهم، يفد الناس إلى مجلسه أفرادا وجماعات، يبسط لهم مائدة عريضة تزخر بصنوفٍ شتى مما لذ وطاب، يتوسط المجلس متكئًا ببشته الفاخر وعقاله المقصب الذي يعتمره فوق رأسه، كان سريع الغضب إذا ما خالف أحدهم رأيه، تأخذه العزة بالإثم ليفور الدم في عروقه على الفور فيحيلهم أعداء وخصومًا، تعاوده الذكرى الأليمة وهو يشاهدُ ابن عمه إبراهيم رفيقه الذي كان يلازمه كظله وقد أقبل نحوه ناقمًا على غير عادته يجادلهُ في قطعة أرضٍ قامَ بحوزها دون علمه، ارتفعت

الأصوات وغشيته سورة الغضب ليُخرج سكينًا يحتفظُ بها في جيبه ويطعنه خمس طعنات مبرحة، يسرف في التذكر، يصاب بالدوار يتمتم:

- كنتُ مغَّيب العقل يومها، هل أحاسب وقد رفع القلم عن المجنون؟

يشبك أصابع يده، تتسارع ضربات قلبه، يهتزُّ في جلسته يئن وينشج مرارةً، لا يفهمون أنه كان يحبه، ولم يكن سوى نوع من أنواع العتاب الذي زاد عن حده، لقد جثم على ركبتيه يومها، حاول أن يوقظه من رقدته الأخيرة، لم يفكر بالهرب، بل وثب جريًا وهو يحمله بين يديه في سيارته الجيب ويمضي به بأقصى سرعة لأقرب مستشفى لينقذ حياته، أخبروه أنه وصل ميتًا، صرخ يومها ملء فمه:

- كاذبون أنتم كاذبون، ابن عمي لا يموت.

قطع شروده صوت الحارس وهو يربت على كتفه قائلا:

- ضابط الشرطة يريد التحدث معك.

مضى بخطوات متثاقلة، ألقى تحيته على الضابط الذي طلب منه الجلوس وغمامة من الحزن تُخيّم على قسمات وجهه، كان يذرع فضاء غرفته جيئة وذهابا، أخذ نفسا عميقا، استجمع شجاعته ثم قال بصوت هادئ:

- أبا خالد تعلم بأنه تم تأجيل يوم القصاص حتى بلوغ القاصرين من ورثةِ القتيل سن الرشد ومطالبتهم باستيفاء القصاص، وقد بلغوها و...

أطرق رأسه يعتمر الصمت وقد نفدت جميع عباراته إلا من رصاصة الرحمة التي لم يتلفظ بها بعد!

نظر إليه مشفقًا بنظرات ملؤها الأسى، تأخذه الحسرة على العمر الذي قضاهُ في السجن متوسمًا العفو والتنازل. بلع ريقه وهو يلتفت مرتبكًا، ولكن السجين ابتدرهُ متسائلا:

- ألم يتنازل أهل القتيل؟

قال له:

- إن أمر الله نافذ يا عم لامحالة، لا اعتراض على حكمه وقضائه، كن مستعدًا.

قالها على عجل وهو يهم بالخروج وقد أطلق عليهِ أخيرًا رصاصة الرحمة دون أن يلتفت إليه، أعادهُ الحراس إلى زنزانته مكسورًا خائر القوى كطائر بللهُ المطر ينتفض لاقتراب موعد زهوق روحه.

هناك في الزنزانة ضرب كفًا بكف وهو يحوقل.

كان يقول لرفاقه مستنكرًا:

- سبع وعشرون سنة يا إخوتي أليست كافية؟ سبع وعشرون سنة وأنا أنتظر موعد تنفيذ الحكم وأتقلّبُ في نومي فزعًا، يخيل إليّ الحراس وهم يزملونني ثم يسحبونني ويجرونني جرًّا إلى ساحة القصاص.

رفع سبابته إلى السماء:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ليتني قتلتُ نفسي يومها وأرحتها، ليتني فعلت.

تجمع عليه رفاق السجن، أحاطوهُ بعنايتهم ولطفهم، حاولوا أن يخففوا عنه، الجميع هنا محكوم عليه بالإعدام بفارق التوقيت وحظهم من هذه الحياة، فهناك من توهب له حياة جديدة وتعتق رقبته بعفو وصفح ودية مدفوعة لأهل القتيل، وهناكَ من تغلبه شقوته ويطبع على جبينه بالموت الموت لامحالة. إنه لا يريد الحياة لنفسه، ولكنه يريد أن يهبها بشدة لأبنائه الذين حرموا منه، أن ينعموا بوجوده ويستظلوا بظله ولو لبعض الوقت، أن ينسج في قلوبهم مكانًا يذكرهم بأبوته ولو كان هشًّا هزيلًا، أن يروي أفئدتهم العطشى لمائه كماء زمزم لا مثيل له، أن يصنع حبًّا في قلوبهم يتلونهُ في صلواتهم وأدعيتهم، أن يتقمص دور الحكيم ويلقنهم أثمن حكمة في الوجود صاغها على سطوة جلاد حياته الشقية:

- إياكم والغضب فالغضب ثمنه باهظ جدًّا.

تدخل حارس الزنزانة مشيرا:

- ماذا لو قمت بتسجيل فيديو تناشد فيه الملك وكبار الشيوخ وأعيانِ القبيلة ووجهاءها للتوسط مع أهل الدم وذوي القتيل للعفو عنك.

جاء صوت أحدهم مشجعًا:

- ناشطو التواصل الاجتماعي لن يقصروا وقد عتقوا رقابًا كثيرة من قبل.

ربتوا على كتفه:

- الأمل ما زالَ موجودًا، فقط لنتدارك الوقت.

بـدؤوا جميعًـا بتنفيـذ الفكـرة، ظهـر أبـو خالـد في فيـديو قصـير بعينيـه الغارقتين في الحزن وبلحيتهِ الكثيفة التي غزاها الشيب همًّا وحسرة، يناشد فيه أولياء الأمر بالتدخل في حالته، كان يقول بصوتٍ خفيض متجلد:

- الوقت المتبقي على تنفيذ الحكم قليل. إنه يرجف كلما سمع صوتًا يقترب من زنزانته.

ذاعت التوسلات الصوتية على مواقع التواصل الاجتماعي، وتصدر وسمٌ في أحدها، تعاطف الجميع لقضيته، ولولا أنه لم يقض سبعا وعشرين سنة في السجن لما استحق هذا التعاطف، ضجّت الرسائل لأهل القتيل مذكرين بصلة القرابة التي تربطهم بالقاتل والشهامة العربية التي ضرب بها الوصف في العفو والصفح الجميل، تدخل أعيان القبائل قاصدين محل إقامتهم، وقد انبطحوا أرضًا على عتبة الدارِ والشمسُ فوق رؤوسهم كعادةٍ من عادات العرب قديمًا للمطالبة بحقنِ الدماء والعفو والصفح والإلحاح الشديد للاستجابة لمطلبهم، تمسمروا في مكانهم وقتًا طويلًا ولكن لا حياةَ لمن تنادي. استيقظ أبو خالد السجين القديم هنا في الزنزانة من نومهِ مطمئنًا قبيل صلاة الفجر، وقد شاهد في المنام ابنه البكر خالد مبتسمًا وهو يغطيهِ بلحافٍ أبيض من القطن، صلى ركعتين، استغفر كثيرًا، تمتم بقلبٍ مؤمنٍ مستسلمًا طواعيةً ورضًا:

- مرحبًا بلقاء الله!

وحدَهُ الورد!

قصد محل الزهور كعادته.. تناول باقة.. دون أن يكلف نفسه متعة النظر إليها، تحتضر ألوانها الزاهية في قبضة يده تلك التي لن تنال برونقها شفاعة في قلبه! أي باقة فحسب كانت ستفي بغرضه وتحقق هدفه.... رمى ما في جيبه، حملها وانصرف... وحين وصل إلى البيت وهمَّ بالدخول دسَّها خلسة في إحدى الأرائك، بدت مسطحة كرضيع يحن إلى صدر أمه.. مضى مطمئنا وقد أودع معها كل ثقته، فهي كفيلة بأن تسحر قلبها كسابق الباقات التي أتت من الطريق نفسه... كان يظن أن الورد وحده كفارة الذنوب، دون الحاجة لاعتذار، أو ارتجال مزيد من الكلام، وحده الورد سيبوح بكل شيء.... قالها مرارا وتكرارا حتى أقرها في نفسه: «لم تخلق الأنثى التي اعتذر لها، ولكن الورد وحده خلق لأجل ذلك».. فالورد هو الحب وهو حارسه، ولن يهرب الحب ولن يتداعى أمام شراك الورد وقبضته التي سوف تعيده إلى جادة الصواب... ولو أعلنت القلوب في بينها حربا وطيسة سيخرسها الورد حتما بلطافته ووداعته... إنه يذكر ذلك اليوم الذي أتلفت فيه وبدون قصد ملفا كان ينجزه على حاسوبه الشخصي فبدأت أصابعه تأكله حتى لطمها بقوة أخرستها قرابة يومين، وأودعتها شاحبة حزينة تقتات الصمت والوحدة... لم يعتذر ولم تكن لديه الرغبة ليداويها بعذب الكلام... ولكي يمحو الندوب التي خلفتها حماقته من قلبها.. نصب لها شراك الورد طرح الباقة على الأريكة نفسها، إنه لا يطيق أن يكلف نفسه العناء ليناولها إياها حتى لا تلتقي عيناه المذنبتان بعينيها البريئتين.

يطرحها في أي بقعة حوله لتمضي إلى قدرها.. تمتم فخورا بنفسه: سوف تعود إليَّ شاءت أم أبت.... انتبه لها وقد خرجت متلفعة بجلبابها كامرأة غريبة نبتت فجأة في هذه الدار.... لقد كانت تجيء وتذهب دون أن يغريها شِراك الورد الذي نصبه..... دون أن تحتضن الباقة كعادتها وتلتقط صورة مرتبة تذيلها بتعليق ساحر: حبيبي أنت وحدك ورد أيامي.... بدا مرتبكا من صمتها وهجرها له هذه المرة... وقد مضى على باقة الورد أسبوع على الأريكة... لم يقع قلبها في فخ باقة الورد، لقد تركته للبعوض الذي بدأ يتكاثر على رائحة بتلاتها الذابلة... نظر إليها نظرة بؤس ملؤها الخيبة لينتشل الباقة ويرميها لأقرب حاوية، وأخيرا قرر أن يرتب بعض الكلام... أي كلام لطيف فحسب.... ربما حان الوقت ليعتذر.... إنه يخاف أن تهجره للأبد، يجب أن يتدارك نفسه ويحسم أمره.... فكر كثيرا، ماذا عله يقول وهو الذي لا يطيق أن يطأطئ رأسه لمخلوق ويعترف بتلك الذنوب أو العيوب؟ وبينما هو ساهم يفكر.... وصلت إليه رسالة على هاتفه... انتفض ليعدل جلسته على الفور وقد أدرك أن الرسالة منها.... كتبت فيها:

لا قيمة للورد

لا قيمة للحب...

لا قيمة لك.....

ما لم تحسن التقدير والاحترام..

ثم مضت.... لتكون آخر رسالة تبعثها إليه ولم يزل يحتفظ بها في هاتفه.

ملكة اللون الأصفر

في يوم جمعة، كالعيد ودونما استئذان أقبلت علي ابنة العاشرة تتمايل بثوبها الأصفر الجديد مزهوة به، وقد أضافت له التنورة الداخلية السميكة فخامة مختلفة على النسق البديع الذي جرت عليه فساتين حسناوات العصر الفكتوري بنفشتها المتكلفة. أخذت تدور وتطلق نظرات من يترقب وينتظر ردة فعل متوقعة، فكل ما علي فعله أمام هذه الصغيرة المنتشية أن أتحول إلى سحابة مديح ماطرة أبللها بما يطربها من قطر، أو أن أتظاهر بالدهشة تعقد لساني وتشق وجهي نصفين، لكن الذي حدث أن ذلك الضوء الأصفر المشع الذي سكب في ذلك الثوب كان قويا ومستفيضا فغرقتُ فيه ليأخذني بعيدا حيث ذلك الماضي وقد ألقاني على ضفاف ملكة اللون الأصفر، نيلوه... تلك التي برع الماضي في وصفها، وكان اللون الأصفر وحده هو الذي ارتبط بها وارتبطت به. أطلقتُ ضحكة مفتعلة غير مقتعة بها، كنت أُقلّد بها تلك الضحكات التي كانوا يطلقونها كلما ارتدت فتاة من ذلك الزمن لونا أصفر خاما لاتشوبه أي ألوان أخرى، يومها كانوا يعلقون في هرج:

- ما هذا اللون الذي ترتدينه؟ تبدين كنيلوه!

وكذلك أنا فعلت وقلتها لابنتي في الوقت الذي كانت تنتظر مني فيه إجابة حلوة كنت قد عجزت عنها، فقد أخرسني طيف نيلوه الذي استيقظ

فجأة من أنقاض الذاكرة، لقد عجزت أن أصفها بعبارات رنانةٍ رشيقة كأن أخبرها بأنها تبدو بهذا اللون الأصفر كنحلة ترنو إلى زهرة خزامى عطرة، كليمونة صفراء لامعة حان موعد قطافها، كشمس مشرقة بالحسن والبهاء والنور، ولكني في الحقيقة لم أفعل، واختصرتها كما كانوا يفعلون بكرة ثلجية قذفتها حين قلت لها:

- تبدين كنيلوه.

لقد جربت أن أداعب بها ابنتي، ولكنها بدت دعابة ثقيلة لم تطربني، فكيف كانوا يطربون ويتلفظون بها؟ وقد صيروا للنساء جرما حتى كرهن اللون الأصفر وعافت أنفسهن ارتداءه! وحدها نيلوه كانت المتربعة على عرش اللون الأصفر، وقد أحكمت قبضته جيدا فلم يخلق في ذلك الزمان والمكان إلا لها. فهل الذنب كله في نيلوه التي انتزعت جمال اللون الأصفر كما ينتزع الضوء من قرص الشمس لحظة الكسوف؟ أم أنه ذنب ذلك اللون الأصفر البريء؟

بدت متأففة ضجرة... غير أن الفضول غلبها عندما سألتني:

- ومن تكون نيلوه؟

نيلوه بتلك الابتسامة الساكنة على وجهها الوديع كقطعة ضاحكة من الجنة كانت تعيشُ في داخلها طفلة غريرة رغم ضخامة جسمها المتورم، تجول في السكك والأزقة بملابسها المهلهلة المخرقة، تحمل شوالا من الخيش يقولون أنها كانت تجمع فيه المعادن أو بقايا القمامة، حيث كانت وجهتها كل يوم. كنا وقتها فتياتٍ صغيرات لم نجرب الخوف إلا عندما

كانت تمر نيلوه ناحيتنا أو تلقي علينا بظلها الثقيل من بعيد، ولأنها كانت تبدو مختلفة، إذ لم يخبرنا أحد يومها أن الاختلاف شيء لطيف وليس بالضرورة أن يكون مرعبًا، وربما كان الاختلاف ميزة لصاحبه وعلامة فارقة، قد يكون باطنه جميلا مهما شان ظاهره أو بدا قبيحا، ولأن أحدهم لم يخبرنا بذلك فقد رحلت نيلوه دون أن نطرق بابها لنمنحها يوما جميلًا يزيح عنها شيئا من غبار البؤس والتعب الذي تكبدته في حياتها، فلم يحدث أن منحناها طيف ابتسامة حلوة لذيذة، ولم يحدث أن رددنا عليها التحية بمثلها، لم يحدث أن عرضنا عليها المساعدة وشاركناها في جمع المعادن أو تنظيف القمامة، لم يحدث أن نهضنا بهمة عالية لحمل الشوال الثقيل عن ظهرها المتهالك وهي المرأة المسنة المتقدمة في العمر، لقد علمونا أن الغريب لا يختلف كثيرا عن الكائن المتوحش، لا يجب أن نحصد منهما سوى الخوف يخطف أنفاسنا رعبًا. تكمل نيلوه تلك المسنة الغامضة طريقها، وقد نصادفها مرة أخرى عندما تعود لتأوي إلى بيتها الذي كان يقع بعيدا في أقصى الحارة، كان يبدو لفرط بساطته مثل كوخ رصف بالحجارة. لم تفهم صغيرتي مغزى القصة، أخذت تسأل بغرابة:

- وما علاقة اللون الأصفر بالأمر؟

ضحكت ملء قلبي، إنها العلاقة كلها والقالب الذي كان يغطيها الثياب الصفراء التي كانت ترتديها ولا تفارقها أبدا، نيلوه لم تكن ترتدي إلا الثياب الصفراء يا ابنتي حتى غلبها هذا القالب ولم تستطع الفكاك منه،

فعندما يذكر اسمها يقفز اللون الأصفر على الفور ملبيًا كمارد تحرر من قمقمه.

نيلوه كانت امرأة وحيدة تسكن كوخا تحمل شوالا وترتدي اللون الأصفر من بين كل الألوان، وقد اختارته بعناية كما اختارت تفاصيل حياتها البسيطة التي تعيشها، هناك قصص كثيرة دارت عنها ولم تثبت قصة واحدة منها حتى الآن، فهناك من يقول إنها فقدت أبناءها في حادث واحد، وهناك من يقول إن بيتها احترق ومات جميع من فيه وبقيت هي تصارع الوحدة حتى سُلب عقلها. رحلت نيلوه بغموضها وصمتها وبقي اللون الأصفر يذكرني بها ويحيلها في قلبي مثل ملكة على عرش، فالذنب لم يكن ذنبها ولا ذنب اللون الأصفر الذي كانت تفضّله، لكنه ذنب القلوب التي لا ترحم وقد صنعت من المأساة سخرية وأضحوكة كان لها من القوة أن مكثت عميقة في أذهان من عايشوها، إذ لم يتسن لهم نسيانها أبدا.

بائع الزلابيا

لم يكن حدّاءً... ولكنه إذا ما صار قريبًا من حيِّنا انتشر حسيس صوته كصوت الرعاة حين تحدو إبلها في ضاحيةِ النهار... يعتمر فوق رأسه سطلا كبيرا هو كلُّ إبله وماشيته... خبيئته التي يرعاها ويغني لها.. يجوب السكك والأزقة غير آبه بحرارة الشمس اللافحة ودروبه المغبرة وما يعيق أقدامه الخشنة من نتوءات وتعرجات، تسوقه أقدام العوز والحاجة والفقر، تتهلل الوجوه لرؤيته وتشنف الآذان لسماع صوته، يسر كثيرا لرؤية الصغار وما يحدثونه من صيحات وجلبات تسفر عن رؤيته كبطل خارق صانع للفرح، يتدافعون حوله وعيونهم ترمق ذلك السطل البلاستيكي الأخضر في اشتهاء كبير... ينادي الجميع.. بائع الزلابيا... بائع الزلابيا... لا همّ لدى الصغار يومها سوى تلك الزلابيا التي بحوزة «بشير» الوافد الباكستاني بسحنته السمراء وطوله الفارع الذي تجاوز المترين... كان ثمنها زهيدا، يومها كنا نطلق سيقاننا للريح نفتش الجيوب وننفضها نفضًا لعلنا نحظى ببعض البيسات التي تُسكت رغبتنا وشهيتنا المفرطة نحو تلك الزلابيا التي بحوزة بشير، وقد اتخذ ركنًا قصيًّا لبيعها تحت ظل شجرة سدر معمرة يعرفها وتعرفه، فلا أحد يثمن وجودها مثل بشير ويعيرها اهتماما هناك وحبّا، يخرج حبات الزلابيا ذهبية اللون يصفها في أوراق الجريد تقطر وتتلَون بالسكر.. كان لورق الجريد يومها

رائحة مثيرة ولون شهي من الدرجة الأولى لا يعادله أي كيس من أكياس الماركات العالمية الشهيرة التي تتسابق الأيادي اليوم في حملها بعجب وتباهٍ كبيرين. سألته أختي مرةً عن مقادير هذه الزلابيا الشهية التي يصنعها، لكنه آثر السكوت ولم يرد وقد انتفض مذعورا في جلسته، يترقب بعينين وجلتين، لعله خشي أن يسحب بساط رزقه عنوة فتكسد حبات الزلابيا في سطله ولا يعود لها قيمة تذكر فيولي خبره أدراج الرياح.

نكزت على ظهرها أن اعتذري وامتدحي الزلابيا التي يصنعها، قالت مستدركة: «لن يصنعها أحد كما تفعل». ابتسم مطمئنا واستمر في بيع الزلابيا، في مكان من الماضي كان كالقبلة تهوي إليه أفئدة الصغار، كنا ننبت هناك حوله بغزارة، ننثر خيوط سعادتنا وفرحنا وصدحات أصواتنا ونطير جريا بورق الجريدة إذا ما ظفرنا بها كطائرة ورقية نشق بها الفضاء نصفين، في صفو أيام لنا خلت كالربيع. سلام لبائع الزلابية الذي عبر في طفولتنا ذات يوم، سلام لجميع الذين عبروا في ماضي أيامنا الجميلة.

ولدي لا يفعلها

دخل عابد على غير عادته متهللا مستبشرا يحمل بين يديه أصنافًا شتى من طيبات الطعام، تلك التي من شأنها أن تخلق البهجة في وجوه إخوته الصغار. إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالفخر والزهو، ويستشعر معنى أن يكون كبير العائلة وذراعها المتينة وينتشي بهذا الشعور، وضع شوال الأرز جانبا، ثم فتح الفريزر الفارغ ليفرغ فيه كرتونة الدجاج المثلج، علبة التونة كانت آخر وجبة تناولها منذ غداء البارحة... كم يشتهي اليوم تناول الدجاج بكبسة لذيذة على الطريقة التي تعدها أمه ونفسها الطيب الذي يتصاعد مع أبخرتها الشهية، مضى وقت طويل منذ تلك الكبسة الأخيرة التي كانت قد أعدتها لهم، سحب صندوق الثلاجة الفارغ هو الآخر ليطرح فيه ما يختبئ في كراتين الفاكهة من حلو الثمار، ويلون مع كل حبة يطرحها ذلك الفراغ القاتم الذي كان يغطي الثلاجة المهترئة شاحبة اللون كمريض بدأ يسترد عافيته، شعر بأنه في جو حالم، طار مع تلك الألوان بسعادة كمن يتزحلق على قوس قزح، ولكن شهقة مريعة أفسدت جوه وقطعت شروده، أمه نجية تسمرت على باب المطبخ وقد ترك مفتوحا أخذت تناظره بعين فزعة وهي تضع يديها على قلبها.. كان يدق برتابة، سلم عليها عابد معلقا:

- خير يا أمي لم أنت مصدومة هكذا؟ تعالي ساعديني قليلا...

تجاهلته، دلفت نحو الممر الذي يفضي إلى فناء البيت من الخارج، تنفست الصعداء، ملأت رئتيها بالهواء، نظرت للسماء نظرة ملؤها العتب، تذكرت البرنامج الانتخابي للمجلس البلدي، ونهم بعض المرشحين في كسب الأصوات وشرائها مقابل حفنة من المال، إنه الموسم الذي تمطر فيه السماء ذهبا! تساءلت: هل فعلها حافظ القرآن؟!!

عابد الذي لا يملك أن يدفع ريالا لسائق الأجرة أو رصيدا يشحنُ به هاتفه الفارغ من الرصيد!!

ضربت كفها بقوة على الجدار:

- يا خسارة تربيتي فيك يا عابد....

تحدرت دمعات الوجع من مقلتيها، لتمضي ناقمة على الفور إلى جارتها أم جاسم فهي الوحيدة التي ستوافيها بالخبر اليقين، فابنها جاسم بعمر عابد تقريبا، ترعرعا معا في نفس الحارة وجريا على ذات الزقاق، كانت حزينة للغاية عندما سألتها ببؤس:

- هل قبض جاسم رشوة انتخابه للمترشح في المجلس البلدي؟

ضحكت أم جاسم بعفوية:

- بالطبع وهل تفوت علينا مثل هذه الفرصة؟ أنت أعلم يا أم عابد الشباب عاكفون في البيوت بلا وظائف، وهذا موسم الخير أقبل.

أكملت أم جاسم حديثها متحمسة في الوقت الذي كانت فيه الأخرى تعتصر ألما:

- جاسم ولدي حظه يفلق الصخر، أحضر أصدقاءه وأعطوه ضعف المبلغ مكافأة.

رفعت يدها معترضة:

- رشوة يا أم جاسم رشوة تعقبها لعنة، عساك لم تفرحي.

أدارت ظهرها وقد قفلت عائدة إلى البيت تملؤها الخيبة بينما كانت أم جاسم خلفها تصفق بكلتا يديها وهي تقول:

- ولماذا لا تكون صدقة لأولادنا الفقارى، صدقة يا حبيبتي صدقة ربي يكبر واجبهم.

أقبل عابد وهو يقبّل يديها مازحا: «الراشن وشريناه، باقي الكبسة الحلوة من يديكِ».

تحاشته، ما زالت مصدومة، أخرجت الدجاجة بدأت تفككها وتغسلها وقد نقعتها في الماء والملح، لم يفتر لسانها عن الاستغفار، طبخت مكرهة فهي لا تتحمل مزاج زوجها السيئ وتعنيفه المستمر لها، لقد تكالبت عليها الظروف وكم تشتهي الفرج.

أحضرت البساط وفرشته، كانت تتأمل تلك العيون المحيطة بها وقد تمركزت نحو الصحن بقوة، هناك على فضاء الصحن تسابقت أيديهم وتشابكت وضحكاتهم تملأ المكان، أما هي فقد اعتزلتهم في ركن قصي، قطع شرودها صوت رسالة صوتية فتحها عابد في هاتفه على مسمع من الجميع:

- هل استلمت المبلغ يا أخي عابد، ما قصرت لقد تعبت معنا في سوق السكراب وأنعشت البضاعة بخبرتك.

لمعت عيناها فجأة، عقدت الدهشة لسانها، تمتت: سوق السكراب؟!

أتاها صوته متحمسا: الحمدلله يا أمي كنت أنتظر سؤالك، فأنا وشريكي نعمل في بيع قطع الغيار والأمور طيبة وسنفتح محلنا الأول قريبا بعونه تعالى، الخير مقبل يا أمي دعواتك.

تنفست الصعداء، مسحت دمعة خبيئة، أقبلت على الصحن، تناولت بشهية مفتوحة كما لم تأكل من قبل، وهي تمتم ملأ قلبها:

- الحمدلله ولدي عابد لا يفعلها.

مغناطيس الزعفران

تبيعُ اللبان والعود وقليلا من البخور والصابون المعطر، تصنعه بنفسها جيدا بعد انضمامها لدورة تعليمية لصناعة العود والبخور والصابون استمرت شهرا كاملا، كانت قد تبرعت لها بها إحدى المحسنات بعد أن أشارت إليها ناصحةً:

- تعلّمي يا سالمة حرفة تغنيكِ عن السؤال، يقول الصينيون في مثلٍ قديمٍ لهم: «لا تعطني سمكة، بل علمني كيف أصطاد السمك».

في كل صباحٍ كانت تذرع المكان جيئة وذهابا بمبخرة نحاسيةٍ صغيرة تطيب بها المكان حولها كناسكٍ في معبد، تحمل في يدها حقيبة العدة تضع فيها البضاعة وأكياس الفحم وولاعة اللهب، تجرب ما تحمله في تلك العلب البلاستيكية المدورة، تزرع الابتسامات في المكان عندما تقترب برائحة الطيب الذي تنثره حولها مخبوءا في ابتسامتها الوديعة، ترحب بها أبلة عايدة قائلة:

- مرحبًا بالطيبة نافحة الطيب، ثم تدعو لها:
- طيبك الله من روائح الجنة.

على مقربة منها كانت تلك الأخرى تبيع حبات الجوز، تخبئها في أكياس النايلون تدور بها في مكاتب المعلمات، الطلب عليها كثير، تبيع

خمسين حبة بريال، طازجة وشهية تعرف كيف تدر لعابهن وتجذبهن إليه كمغناطيس فعال عندما تقول:

- جلبته من السوق الإيراني في دبي لا يفوتكن، يقبلن عليه بينما تجلس أبلة نورة متململة على كرسيها الأسود الدوار وهي ترقبهن من بعيد، تمسح بأظافرها الناعمة المصبوغة (بالمناكير) تصك على أسنانها ضجرة:

- يحتاج إلى تقشير وجهد ما أقوى طاقتكن على تحمله!!

ترد عليها زليخا متوعدة:

- انشغلي بأظافرك أيتها الرقيقة واتركي الجوز لنا.

من ركن غير بعيد نبتت فجأة بائعة الزعفران الخجولة كزهرة ذابلة، تحتقن الدماء في وجنتيها كلون الزعفران الذي تحمله، مسكينة لا تتقن فن الكلام ولا بيعِه، جاءت لتجرب حظها هي الأخرى، أخبروها أن سوق المعلمات نشط جدًّا يشترين بلا حدود، عقولهن في راحة وجيوبهن مصابة بالتخمة ويمنحن بسخاء، هكذا وجدت عاملات المدرسة الثلاث ذوات الدخل المحدود تجارة نشطة يكسبن من ورائها من بيئة الموظفات... نجحت سالمة في بيع البخور وكذلك شريفة، لكن موزة بائعة الزعفران لم تجد إقبالا كثيرا وتقول لهن بلسان يتأتئ:

- زعفران إيراني أصلي...

عبثًا تحاول كلٌ من سالمة وشريفة تلقينها بعض الجمل لتدهن بها (السير) لكن كل ما تحفظه كان يغرق في بحر خجلها وترددها، تجلب

الزعفران من راشد صاحب الدكان الملاصق لبيتِ الإيجار الذي تعيش فيه، قال لها حاولي أن تبيعي الحبة بريالين ونصف ولك الفائدة، لكن الزعفران يظل في عهدتها دون إقبال، تفكر مطرقة في بضاعة أخرى تجذب الباعة لها.

تجر خلفها أذيال الخيبة المُحمّلة بعلب الزعفران.

تحمل سبحة في أصابعها، لا يفتر لسانها عن التسبيح والاستغفار، يدغدغ قلبها منتشيا بالأمل بأنها ستحصل يومًا على ما تريد وستفتح في وجهها أبواب الرزق، تتذكر عيوبها فتصاب بالخيبة، تتجاهلها متشبثة بأملها لتواصل عقد حبل آمالها بعزم شديد:

- نعم سيكرمني الله رغم كل شيء.

لبت دعوة جارتها يومًا قالت لها هامسةً :

- سأحتاج إلى مساعدتك يا موزة ولن أقصر معك في الإكرامية.

لن تتردد في ذلك فثلاجتها خالية من الإدام منذ أسبوع، تعودت أن تطهو لأبنائها أرزا مع البيض تارة وأرزا بالخضار تارة أخرى، اشتاقت للحوم ورائحتها الزكية، لكنها لا تملك من أمرها حيلة.

مضت موزة مبكرًا لتقديم المساعدة لجارتها هيفاء، لم تدخر جهدًا في ذلك، جهزت لها مائدة الطعام التي كانت ممتلئة بأصناف شتى من الحلويات والسكاكر تغطي السفرة، وكذلك الأرز واللحوم بأنواعها المختلفة، تأخذها الحسرة على حالها، تتمتم في نفسها، الوليمة قد تسد جوع قرية بأكملها لكن المنعمين لا يعلمون شيئًا عن تلك البطون

الخاوية. اشتهت أن تجري بشيء من هذه الأطباق لأولادها، لبنتها البكر مريم التي تحب السكاكر والحلويات، تطلبها كثيرا ولا تجد أذنًا تصغي لها لفرط التجاهل، وبينما هي تجول بنظرها حول المائدة لفتت انتباهها كعكة شهية يغطيها الكراميل الأبيض وخيوط من الزعفران المنزلق على جوانبها، دققت النظر جيدًا فلاحظت أن الكعكة محشوة بالزعفران من الداخل أيضًا. تذكرت علب الزعفران الكاسدة التي تحفظها بعناية في صندوق مندوسها الخشبي القديم... لم تتردد في سؤال هيفاء وهي تشير إلى الكعكة بخجل:

- كم علبة زعفران تم مزجها في هذه الكعكة يا ترى؟

ضحكت هيفاء من غرابة السؤال غير أنها أجابت:

- ربما علبة أو علبتين، لا يفوتك الصوص الخاص بها.

ثم ناولتها قنينةً بلاستيكية مليئة بصوص الزعفران... أخذت تتأملها وقد خالطتها بعض السعادة، فالزعفران الكاسد في منزلها قد يكون مفيدًا هنا.

قطعت شرودها هيفاء وهي تناوشها الصحون الخزفية تطلب منها أن تقطع الكعكة وتوزعها قطعة قطعة في كل صحن، ثم ترشها بصوص الزعفران. سُرّت موزة كثيرًا.. ناولت الضيوف الأطباق وسرتها نظرات الإعجاب والاشتهاء المرسومة على وجوههن، سألت إحداهن وهي تتلذذ بطعمها الشهي العالق في فمها:

- من الذي صنع هذه الكعكة المدهشة؟

- تصنعها إحدى النساء الماهرات في الطبخ سأبعث لك رقم هاتفها لاحقًا.

أضافت إحداهن:

- هل تعرفين بأن القطعة الواحدة منها في أحد المقاهي الفاخرة تباع بأربعة ريالات.... لذيذة والطلب عليها كبير.

تسترق موزة السمع جيدا لكل ما يخص الزعفران، يروق لها هذا الحديث عنه، ابتسمت من قلبها وقد عزمت على المضي قدما لأمر ما، لقد عثرت على فائدة ثمينة للزعفران، عادت إلى بيتها محملة بأصناف مختلفة من الحلوى وطبقا كبيرا من برياني اللحم... كانت سعيدة للغاية ممتنة للفرصة التي ساقتها إلى هذه العزومة. ظلت عاكفة في البحث عن تفاصيل هذه الكعكة، المقادير ودرجة الحرارة المناسبة لخبزها، ومقادير الصوص الخاص بها، اجتهدت في التدوين، أخرجت علب الزعفران التي بحوزتها وشرعت في طبخ أول كعكة من يدها، لم تنس أن تسمي الله تسأله البركة والتوفيق في ما هي مقدمة عليه، جهزت قالبًا كرتونيًّا تحفظ فيه الكعكة، نقرت على هاتفها وكتبت منتشيةً: تتوفر معي كعكة زعفران للتسليم الفوري، ثم دونت ملاحظة، البيع سيكون بالقطعة الواحدة، حددت لها سعر نصف ريال، انتظرت قليلًا حتى هلت عليها الطلبات، كتبت غير مصدقة: نفدت... تسامع الناس عنها في ما بعد فقررت أن تطور مشروعها، اقترحت عليها مريم أن تخصص علبا كرتونية جميلة ستتكفل

بطباعة شعار مناسب لها ثم ستقوم بتلوينه بنفسها، فالحبر الملون مكلف بعض الشي، سرتها الفكرة كثيرا.

لم تعد موزة تخجل من الزعفران الذي كان بحوزتها فقد أصبح الطلب عليه كبيرًا من المعلمات، لم تعد خجلة مندسة كزهرة ذابلة، بل أصبح اسمها يتردد كثيرًا بالثناء والمدح والدعوات، توسع مشروعها وأخذت تتعلم أصنافا أخرى من الحلويات.

كانت في عصرية مع جاراتها من نساء الحي يتناولن القهوة والتمر، جهزت لهن كعكة الزعفران الشهية، تناولنها بإعجاب شديد، تحدثن كثيرًا عن وصفات الطبخ، دلفن في الحديث عن مواد التجميل قالت إحداهن: «لا يوجد أفضل من المواد الطبيعية المصنوعة بالبيت، أصبحت أمزج الفازلين مع مسحوق الزعفران المطحون للحصول على لون شفة متوردة وكذلك للخدود»، مغناطيس الزعفران جذبها مجددا إلى الحديث لتنصت بفضول وقد طرقت رأسها فكرة أخرى..

ترى هل ستخوض موزة بائعة الزعفران عالم التجميل هذه المرة؟

فهرس المحتويات

حُبّ عتيق 7

فتاة الذهان..... 11

مشهورة العالم الأزرق 14

موناليزا الموصل..... 20

إخفاء 24

حالة جديدة..... 28

طارقٌ من الماضي 35

أقدم سجين..... 40

وحدَهُ الورد!..... 45

ملكة اللون الأصفر 47

بائع الزلابيا 51

ولدي لا يفعلها 53

مغناطيس الزعفران 57